

مصورو بيت لحم وصناعة السينما المصرية

الأخوان إبراهيم وبدر الأعمى (الاما)

د. عدنان أيوب مسلّم

مولد الأفلام السينمائية

يعتبر تاريخ ٢٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٩٥ مولد الأفلام السينمائية الرسمي وذلك عندما قام الأخوان (أوجست ولويس لوميير) بعرض عشرة أفلام «كل منها لا يتجاوز خمسين قدماً ويستغرق عرضه بين دقيقة ودقيقتين». وكانت كلها أفلاماً إخبارية تسجل أحداثاً واقعية عادية في مقهى (جراند كافيه) باريس. أما (جورج ميلييه) فيعود إليه الفضل في إخراج أول فيلم مسرحي روائي متكامل (رحلة إلى القمر) في عام ١٩٣٠. وفي نفس العام تبعه (أودين بورنزا) و(حياة رجل مطافئ أمريكي). ولعب (أودين بورنزا) في فيلمه (سرقة القطار الكبرى) دوراً رائداً في خلق «فن سينمائي حقيقي». أما في عام ١٩٢٧ فقد بدأت السينما الناطقة في الظهور مع فيلم (مغني الجاز) لشركة (إخوان وارنر) بالرغم من المعارضة الشديدة من قبل بعض الممثلين والمخرجين (كشارلي شابلن).

أيهما أول فيلم عربي روائي: «قبلة في الصحراء» أم «ليلي»؟

في الخامس من أيار ١٩٢٧، تم عرض أول فيلم عربي مصري طويل صامت في سينما «الكوزموجراف» في الإسكندرية عنوانه «قبلة في الصحراء» من إخراج إبراهيم لاما. فيما قام بدور البطولة فيه شقيقه بدر. ويعتبر مؤرخو السينما العربية هذا الفيلم أول

الأعمى. والسيد وديع الأعمى. وعائلة الأب هيرت إيدر. والسيدة فيوليت الراهب عبادو. والسيدة هبة ناصر الأطرش. بالإضافة إلى الأنسة إجميد الخوري التي أشرفت على تصميم الكتاب. والأنسة إليزا أغازيان والتي قامت بترجمة مقالة السيد دانيال برو إلى العربية والأستاذ سلامة رزق الله الذي أشرف على تنقيح اللغة العربية.

وتقوم ديار بتقديم هذا الكتاب الجديد إلى المكتبة العربية إيماناً منها بأهمية تأريخ تراث شعبنا ليبقي جزءاً من ذاكرة هذا الشعب الحي الأصيل، وليبقي نبراساً يساعده على تطوير هوية ثقافية ديناميكية على طريق صناعة المستقبل.

بيت لحم، حزيران ٢٠١٢

الهجرة إلى التشيلي والعودة إلى الوطن الكبير وتأسيس شركة «كوندور فيلم» في الإسكندرية



كان والد إبراهيم وبدر الأعمى (لاما)، عبدالله إبراهيم سعيد الأعمى، شقيق يعقوب إبراهيم سعيد الأعمى والد انطون «أبوجمال»، وتوفيق «أبو جورج»، وجودة «أبو يعقوب» الأعمى من حارة الفراحية في مدينة بيت لحم. ولد عبدالله في بيت لحم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثم هاجر إلى جمهورية التشيلي في عام ١٨٩٠، وفيها تزوج من بيتلحمية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة سارة) والتي أنجبت منه ثلاثة أولاد: عيسى، وإبراهيم، وبدر.

ويلاحظ أن ظاهرة هجرة البيتلحميين في هذه المرحلة كانت نتيجة تفاقم الأوضاع السياسية والاقتصادية في الدولة العثمانية. ناهيك عن الدور الذي لعبته المعارض الدولية كمعرض فيلادلفيا الدولي لعام ١٨٧٦ ومعرض شيكاغو لعام ١٨٩٣ ومعرض سان لويس لعام ١٩٠٤ في اجتذاب التجار الفلسطينيين الذين عرضوا منتوجات الأراضي المقدسة كالتحف الصدفية والمسابح والصلبان والايقونات والبروشات وحُف خشب الزيتون. وقد أدت هذه المعارض إلى زيادة الإقبال على حُف الأراضي المقدسة التي كانت تباع بأسعار مغرية. فانتشرت أخبار الرواد والثروة التي أصابوها انتشاراً كبيراً وولدت الغيرة في قلوب الجميع وأصبحت هذه الهجرة للكثيرين في بيت لحم مشروعاً عائلياً تموله موارد العائلة، واستثماراً تعود فوائده المادية والمعنوية على العائلة بكاملها. وكانت الهجرة في أول الأمر بطيئة ومؤقتة، فالهدف الأساسي كان جمع الأموال والعودة إلى الوطن إلى أن جاءت الأعوام ١٩١١-١٩١٣ والانقلابات السياسية والحروب وبما في ذلك انسلاخ البلقان عن الدولة العثمانية، والأعوام ١٩١٤-١٩١٨ والحرب الكونية الأولى والجماعات والأمراض والتجنيد الإجباري، فتحوّلت الهجرة البطيئة والمؤقتة إلى ظاهرة اجتماعية خطيرة ما زلنا نعيش واقعها المرحى حتى الآن، والتي تفاقمت نتيجة الصراع العربي الإسرائيلي المتواصل. أما عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، والد إبراهيم وبدر، فقد اضطر إلى ترك التشيلي والتوجه مع عائلته وأولاده إلى مصر للمعالجة، ولكن صحته ازدادت

فيلم عربي روائي في تاريخ السينما العربية المصرية أي قبل فيلم عزيزة أمير «ليلى» بستة أشهر. بالرغم أن المصريين يعتبرون الأخير أول فلم مصري صامت وذلك لاعتبارات مصرية قومية محضة. ويقول خالد البطرأوي في هذا الصدد:

«أيهما هو المولود السينمائي البكر على الشاشة العربية؟ أيهما هو الفلم المصري رقم واحد في تاريخ السينما المصرية: أهو فيلم (ليلى) من إنتاج عزيزة أمير صاحبة شركة «إيزيس فيلم» والذي عرض في دار سينما (متروبول) بالقاهرة في يوم ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٢٧. أم فيلم (قبلة في الصحراء) إنتاج إبراهيم وبدر لاما (الأعمى) صاحبي شركة (كندور فيلم) والذي عرض في دار سينما محمد علي في الإسكندرية قبل عرض الفيلم الأول بستة شهور وعشرة أيام في ٥ مايو (أيار) عام ١٩٢٧... قرر النقاد والمؤرخون للسينما المصرية... أنه فيلم (ليلى)... وذلك لاعتبارين اثنين هما: الأول أن (عزيزة أمير) عرضت فيلمها في القاهرة العاصمة. بينما عرض فيلم (قبلة في الصحراء) في العاصمة الثانية الإسكندرية. الثاني هو أن الأخوين (لاما) كانا يعتبران في ذلك الوقت غير مصريين إذ إنهما ينحدران من أصل فلسطيني. ولا ينبغي أن يبدأ تاريخ السينما القومية المصرية بفيلم من إنتاج فنانيين غير مصريين مائة في المائة... إذن... الأولية من باب الإنصاف، تبقى للأخوين إبراهيم وبدر لاما».

ويقول أحمد يوسف في الفن السابع (القاهرة) التالي:



«والحق أن وجود الأجانب كفنانيين وفنانين كان هو البداية في الصناعة السينمائية في مصر. لكن الأمر مع الأخوين لاما بدأ يأخذ منحى جديداً. أكثر عمقاً وتأثيراً. إذ أصبح الأجانب هم القادمون من البلاد العربية، أو المنحدرون من أصول عربية، بما يعنيه ذلك من وحدة الثقافة واللغة. وبما يعنيه أيضاً من أن الهدف الواضح لهم هو صنع أفلام مصرية تتوجه إلى الجمهور المصري والعربي... وأصبحت مصر - كما يليق بها - هوليوود الشرق».

سوءاً فذهب إليه شقيقه يعقوب عام ١٩١٠، وأحضره مع عائلته إلى بيت لحم، حيث توفي فيها عام ١٩١٧، وبعد وفاته عادت زوجته مع أولادها إلى التشيلي حيث توفي ولدها عيسى. وكانت هواية إبراهيم وبدر هي «فن التصوير». فقررنا عام ١٩٢٦ العودة إلى فلسطين؛ لإنشاء صناعة السينما في وطنهما ولدى توقف سفينتهما في الإسكندرية شاهدا الحركة السينمائية النشطة هناك، فقررنا البقاء فيها. وكانت معهما معدات التصوير السينمائي. وأقاما في فيلا بحي فكتوريا حيث انضموا إلى مجموعة فنية برعاية أحد الأثرياء وهو محمد توفيق. وقاما كذلك بتأسيس نادٍ للهواة، وأصدرا نشرة سينمائية، وأقاما مسابقة لاختيار الوجوه الجديدة للتمثيل. وأخيراً أسسا شركتهما السينمائية «كوندور فيلم».

ويقول حسن يوسف في الفن السابع:

«وعلى الرغم من أن هذا النادي لم يستمر نشاطه إلا عاماً واحداً، فقد نجح في خلق اهتمام كبير بفن السينما لدى قطاع عريض من الشباب المصري، وهو الاهتمام الذي استثمره الأخوان لاما في العام التالي (١٩٢٧)، حيث أسسا شركة «كوندور فيلم» التي أعلنت عن بدء تصوير فيلمها الأول «قبلة في الصحراء» وعن حاجتها لبعض الممثلين».

فيلم «قبلة في الصحراء»

وقد قام إبراهيم بدور أساسي في إنتاج الأفلام، فكان هو الكاتب والمخرج والمنتج والمصور ومهندس الديكور والمونتير في حين ركز بدر على تمثيل الأدوار الرئيسية بالاشتراك مع نازي كامل ووداد أورفي وفاطمة رشدي و إبراهيم ذو الفقار وثريا رفعت ومختار حسين ونبوية مصطفى وبدرية رأفت... وقاما بإنتاج أول فيلم عربي صامت (قبلة في الصحراء) في مايو/أيار ١٩٢٧؛ ويصف الناقد السينمائي محمد دواره الفيلم الصامت هذا بأنه محاكاة للفيلم الأمريكي «ابن الشيخ» الذي قام ببطولته رودولف فالنتينو، وإليك ملخص الفيلم كما رواه مخرج الفيلم لأعضاء جمعية مينا فيلم في الإسكندرية في عام ١٩٢٧، وكما نشر في مجلة المصور القاهرية في عدد أيلول/سبتمبر ١٩٢٧:

«شفيق شاب من الأعراب يقيم في الصحراء... التقى «هيلدا» الفتاة الأمريكية وأحبها وأحبته من أول نظرة، وكان شفيق يتشاجر كثيراً مع عمه عبد القادر؛ لأن الأول كان مغرماً بسباق الخيل وبالمرهنة عليها، وحدث أن عثر شفيق على عمه قتيلاً ورآه بعض أفراد القبيلة فظنوا أنه قتل عمه للتخلص منه وأبلغوا البوليس، أما شفيق فقد هرب إلى

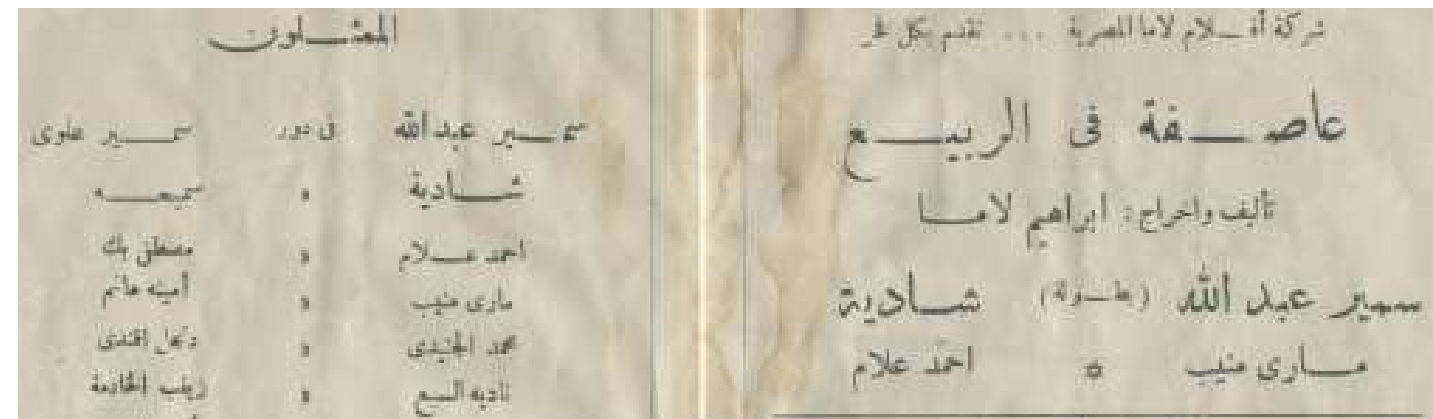


الصحراء وأصبح عضواً في عصابة من قطاع الطرق، وفي إحدى هجمات العصابة يجد شفيق نفسه وجهاً لوجه أمام حبيبته «هيلدا» ومع أنه كان مقنعاً فقد لُحِت الخنجر الذي كان يتقلده، فهتمت بتقبيله إلا أنه أبى ذلك، لأن هذا مخالف لأعراف الصحراء وتقاليدها... فتغضب منه وتتركه، وفي أثناء ذلك يتناهى إلى شفيق خبر براءته من دم عمه، فيهرع وراء حبيبته وينقذها من ثلاثة مجرمين حاولوا الاعتداء عليها، وينتهي الفيلم بزواجهما».

وقد انتقدت الصحافة المصرية الفنية الفيلم بشدة واعتبرته «خطوة إلى الوراء نحو تأسيس صناعة سينمائية مصرية... وأن الفيلم ينظر إلى مصر والمصريين بعيون أجنبية... «ما دفع إبراهيم لاما إلى الرد على هذه الاتهامات بعبارات تعبر عن التراجع والانسحاب «إن شريطنا لا يتناول حياة مصر، وإن كان قد أخرج في مصر». وقد حاول الأخوان لاما إعطاء الفن المصري أهميته في فيلمها الثاني «فاجعة فوق النيل» (١٩٢٨) عندما تعاقدوا مع ممثلة المسرح فاطمة رشدي وقد حقق هذا الفيلم نجاحاً باهراً مادياً ومعنوياً، وكان من المؤشرات الرئيسية على ذلك «اقتراب الأجنب - صناع السينما - أكثر فأكثر إلى الجمهور المصري».

انتقال الأخوين لاما إلى القاهرة

وفي عام ١٩٣٠، انتقل الأخوان إلى القاهرة وهناك تزوج إبراهيم من الأمريكية ايزابيل جورج التي أنجبت له ولدين: سمير عبدالله الذي شارك في العديد من أفلام والده، وجوده الذي لم يشارك في العمل السينمائي، أما بدر فتزوج من اللبنانية جوزيفين سركييس التي شاركته البطولة في العديد من أفلامه تحت اسم بدرية رأفت، وأصبحت استوديوهات الأخوين لاما في الثلاثينات والأربعينات من كبريات الشركات السينمائية في القاهرة.





وقد أخبرني إبراهيم الأعمى وهو من أبناء المرحوم توفيق يعقوب إبراهيم الأعمى ابن عم بدر وإبراهيم والمقيم في بيت لحم، بأن الأخوين لاما مكثا في بيت لحم بين أقاربهم وفي فلسطين في الثلاثينات وذلك لتصوير فيلم (الهارب) الذي تمحورت أحداثه حول الهروب من التجنيد الإجباري العثماني إبان الحرب العالمية الأولى. وقد شارك بعض أهالي بيت لحم في طاقم التمثيل.



قائمة بأسماء بعض الأفلام (١٩٢٧-١٩٥١)

وفيما يلي قائمة ببعض الأفلام السينمائية التي أنتجتها استوديوهات لاما ما بين ١٩٢٧ و١٩٥١:

- | | |
|-------------------------|----------------------|
| ١. قبلة في الصحراء. | ٢٢. نداء الدم. |
| ٢. فاجعة فوق الهرم. | ٢٣. أسكت يا حب. |
| ٣. معجزة الحب. | ٢٤. البيه المزيف. |
| ٤. معروف البدوي. | ٢٥. بنت الشرق. |
| ٥. وخز الضمير. | ٢٦. البدوية الحسنة. |
| ٦. الضحايا. | ٢٧. الحلقة المفقودة. |
| ٧. شبح الماضي. | ٢٨. سكة السلامة. |
| ٨. الهارب. | ٢٩. عاصفة في الربيع. |
| ٩. عز الطلب. | ٣٠. كنز السعادة. |
| ١٠. نفوس حائرة. | |
| ١١. الكنز المفقود. | |
| ١٢. ليالي القاهرة. | |
| ١٣. فيس وليلى. | |
| ١٤. رجل بين إمرأتين. | |
| ١٥. صلاح الدين الأيوبي. | |
| ١٦. صرخة في الليل. | |
| ١٧. كليوبترا. | |
| ١٨. ابن الصحراء. | |
| ١٩. وحيدة. | |
| ٢٠. خفايا الدنيا. | |
| ٢١. عريس الهنا. | |



وفاة بدر لاما وانهيار استوديوهات لاما

وعند انتهائه من فيلم (البدوية الحسنة) في عام ١٩٤٧ أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على إثرها في أول أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٤٧. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه. شارك فيها الآلاف من مواطني منطقة بيت لحم. وبعد وفاة بدر اختار إبراهيم ولده سمير عبدالله ليحل مكان أخيه. فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام ١٩٤٨ والممثلة عفاف شاكرا في فيلم (سكة السلامة) في عام ١٩٤٩. والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام ١٩٥١ والممثل بشارة واكيم في فيلم



(كنز السعادة) والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير). وفجأة اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات استوديوهات لاما بما في ذلك أشرطة الأفلام... وتوالت النكبات. ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته. انتهى بموت إبراهيم في ليلة ١٢ مايو (أيار) ١٩٥٣... وتراكمت الضرائب على

الاستوديوهات وفي آخر الأمر «ختمت أبوابه بالشمع الأحمر» وانهارت العائلة. أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة بدر فلم تقم إلا بدور بطولي واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام ١٩٥٣ مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا. اعتزلت بعده العمل السينمائي مكرسة حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله إبراهيم لاما وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما في ذلك تجربته القصيرة في لبنان في السيتينات وأفلام (وادي الموت) و(صقر العرب) و(القاهرون) إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي نهائياً.

